



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التصويت المجدي.. عقبة أخرى أمام المرشحين الجدد

عبد العزيز عليوي العيساوي



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

التصويت المجدي.. عقبة أخرى أمام المرشحين الجدد

عبد العزيز عليوي العيساوي*

مقدمة

مع اقتراب موعد انتخابات مجالس المحافظات المنتظرة التي من المتوقع أن تجري قبل نهاية العام الحالي، بدأ المرشحون في الكشف عن أنفسهم من خلال الأدوات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمتلكونها. وعلى الرغم من عدم انطلاق الحملة الانتخابية بشكل رسمي، إلا أن الشوارع ومواقع التواصل الاجتماعي بدأت تتداول مظاهر غير مباشرة للدعاية الانتخابية لبعض الأحزاب والمرشحين بهدف تحقيق أكبر قدر من المكاسب عن طريق استخدام أدوات عديدة، من بينها الوعود والعبارات والهاشتاقات الجاذبة التي تهدف إلى اقناع الناخبين بفوز بعض المرشحين دون غيرهم مهما كانت الظروف في يوم الاقتراع. وهذا بهدف دفع المصوتين نحو ما يُعرف بـ «التصويت المجدي» أو «التصويت المفيد» الذي يعني اقناع الناخب بمنح صوته للمرشح الذي لديه حظوظ أكبر للفوز بدلاً عن هدر هذا الصوت في حال منحه لمرشح خاسر.

التصويت المجدي يمكن أن يمثل عقبة كبيرة أمام بعض المرشحين الجدد الذين لا يمتلكون أدوات مناسبة والخبرة السابقة للتعامل مع ملف الانتخابات، مما يتطلب جهداً كبيراً من المرشحين لإقناع الناخبين بأن التصويت المجدي الذي يمنح الأصوات للمرشح الأكثر حظوظاً في الفوز لا يمكن أن يكون هو الحل دائماً.

واقعياً ووفقاً للمعطيات الحالية، فإن نسبة غير قليلة من الناخبين العراقيين مقتنعين بالمقولة الشهيرة «هو فايز فايز» التي يجري تداولها قبل كل انتخابات، والتي تشير إلى أن مرشحين محددين سيفوزون في الانتخابات، ومن يريد الحفاظ على صوته من الهدر، فعليه التصويت لأحدهم. ولكن ذلك لا يعني أن على المرشحين الآخرين التسليم بقوة المنافسين، لأن العملية الانتخابية قائمة على أساس التنافس الديمقراطي عن طريق صندوق الاقتراع الذي سيكون هو الفاصل في تحديد هوية الفائزين.

* باحث.

أولاً: النظم الانتخابية والتصويت المجدي

إن العلاقة بين طبيعة النظام الانتخابي والتصويت المجدي وثيقة، بل أن النظام الانتخابي يفرض أحياناً وجود فرصة للتصويت المجدي من عدمه، ففي نظام الصوت الواحد غير المتحول الذي تم تطبيقه في العراق عام 2021 في الدوائر المتعددة، لم تكن هناك أهمية تذكر للتصويت المجدي على الرغم من وجوده. لأن أغلب المرشحين كانت لديهم فرص جيدة للفوز في الدوائر الانتخابية الصغيرة.

بينما يتوقع أن يفرض التصويت المفيد نفسه في انتخابات مجالس المحافظات المقبلة بسبب الانتقال إلى نظام التمثيل النسبي بالية سانت ليغو. هذا النظام يتطلب وجود قوائم انتخابية قوية ومرشحين أقوياء داخل هذه القوائم، مما يجعل الانظار تتجه نحو قوائم محددة ومرشحين معينين للفوز، وهو أمر قد يؤدي إلى انتفاعهم من التصويت المجدي الذي يضاعف أصوات كبار المرشحين بخلاف المرشحين الفرديين أو أولئك الذين يتبعون أحزاباً أو تحالفات صغيرة الذين لا يستفيدون غالباً من التصويت المفيد.

ويختلف التصويت المجدي أو التصويت المفيد من نظام انتخابي إلى آخر، ففي نظام الأغلبية غالباً تتجه الانظار نحو المرشح الذي يتوقع أن يحصل على أكثر عدد من الاصوات لأن فرصته في الفوز أكبر من الآخرين، وكثيراً ما تلعب استطلاعات الرأي دوراً مهماً في هذه الحالة، أي أن الناخبين يفكرون بانتخاب المرشح الذي تصدر الاستطلاعات لضمان عدم ضياع اصواتهم وهذا ما يفسر وجود مرشح في دائرة انتخابية مفردة يحصل على اصوات تفوق ما حصل عليه باقي المرشحين مجتمعين، ويرى دعاة التصويت المجدي في نظام الاغلبية أنه يحث الناخبين على التركيز وعدم التشتت الذي قد يؤدي إلى هدر الاصوات، مما يكفل للناخب قدرة أكبر على التفكير في المرشح الأكثر كفاءة من غيره ويساعده ذلك على استخدام صوته بطريقة مفيدة. من منطلق أن اختياره سوف يكون قاطعاً وفاصلاً، وفي نفس الوقت يشجع المرشحين للسعي الجدي للحصول على أكبر عدد من الاصوات.

وشهدت السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الأولى انتشار تطبيق نظام التمثيل النسبي في الدول الأوروبية، فأخذت به ألمانيا وهولندا وإيطاليا وسويسرا ثم دول أخرى. وكانت القوى اليسارية أول المطالبين بتطبيق نظام التمثيل النسبي، لأن هذا النظام يخدم القوى والأحزاب التي لها وزن

سياسي وأنصار في كل مكان، ولكنها لا تشكل الأغلبية. وهذا يجعل اصواتهم لا تضيع هدرًا في ظل نظام الأغلبية بينما تحصل على عدد من المقاعد في ظل نظام التمثيل النسبي، في أول إشارة على دعوة غير مباشر لأنصار هذه الأحزاب إلى أن يكون تصويتهم مجدياً لصالح مرشحي اليسار، من أجل كسر سطوة الأحزاب التقليدية التي كانت تسيطر على هذه الدول بسبب تطبيق نظام الأغلبية الذي يمنح الفوز لمن يحصل على أعلى الأصوات مقابل خسارة جميع المرشحين الآخرين.

وبعد أن وضعت بعض الدول حاجزاً انتخابياً، لا بد من تجاوزه للفوز، ازداد الاهتمام بالتصويت المفيد كونه الفرصة الأفضل والأهم لتجاوز هذا الحاجز. ويرى مؤيدو التمثيل النسبي أن هذه النوع من النظم الانتخابية يقلل من نسبة الأصوات الضائعة، لأن الناخب حين يقتنع بفائدة مشاركته في العملية الانتخابية، وأن صوته قد يحدث تغييراً وأن كان طفيفاً، فيتوجه إلى مراكز الاقتراع للإدلاء بصوته للمرشحين الذين يقتنع بهم، وهنا تكمن أهمية التصويت المفيد الذي يمكن أن يكون حاضراً في اذهان الناخبين، خصوصاً أولئك الذين يعتقدون أن مصالحهم يمكن أن تتحقق في حال فوز مرشحين معينين.

أما في النظام الانتخابي المختلط الذي يجري خلاله انتخاب جزء من الاصوات بالأغلبية والجزء الآخر بالتمثيل النسبي، فإن الأمر يبدو أكثر تعقيداً من النظامين السابقين. وعلى الرغم من هذا التعقيد، فإن التصويت المجدي حاضر بقوة في تجارب الدول التي اخذت بالنظام المختلط.

وأدى هذا النظام إلى اختفاء الآثار السيئة للتمثيل النسب، من حيث تقليل من دور الناخب، ومن حيث تعدد الأحزاب، ففي إطار الدائرة الصغيرة، يشعر الناخبون من الناحية النفسية بنفس مشاعر الناخبين البريطانيين، لذا فهم يحاولون أن يجعلوا تصويتهم مجدياً، وبالتالي فهم يقتصرون اختيارهم على أقوى اثنين من المرشحين. ومن ناحية أخرى يتولد شعور نفسي لدى الاحزاب، فتعمل على استقطاب الناخبين مما يؤدي الى فرض نظام الحزبين في الدوائر الصغيرة. ولكن الناخبين الذين يصوتون على هذا النحو في الدوائر الصغيرة. يحاولون ان يكون تصويتهم مجدياً في الدوائر الكبيرة، حيث يتم الاقتراع في آن واحد. فحوالي 90% من الناخبين يطبقون قاعدة التصويت المجدي في إطار التمثيل النسبي. وأدى الاتجاه نحو التصويت المجدي الى تقليص عدد الاحزاب التي يمكنها الوصول الى الحكم في المانيا من 12 عام 1949، إلى حزبين أو ثلاثة في الوقت الحاضر¹.

1. سعاد الشراوي وعبد الله ناصيف، نظم الانتخابات في العالم وفي مصر، القاهرة، دار النهضة العربية، ص144.

ثانياً: تطبيقات للتصويت المجدي

جرى تداول مصطلح التصويت المجدي أو التصويت المفيد على نطاق واسع بعد الانتخابات الرئاسية الفرنسية التي جرت عام 2002 وتنافس فيها جاك شيراك وجان ماري لوبان على الرئاسة في جولة أولى، لم تحسم لاي منهما قبل أن تجري جولة ثانية أدى خلالها التصويت المجدي دوراً كبيراً في فوز جاك شيراك، الذي ركزت حملته الانتخابية على اقناع الناخبين بأن شيراك سيفوز في كل الاحوال ومن يريد أن يحافظ على صوته فليصوت له.

وبدأ التصويت المجدي بالظهور في الجولة الثانية من الانتخابات الفرنسية لحسم المنازلة الانتخابية بعد فشل أي من المرشحين للانتخابات في الفوز من الجولة الأولى، قبل أن تأخذ به احزاب في دول أخرى، حاولت اقناع الناخبين بالتصويت إلى مرشحين لديهم فرصة بالفوز بدلاً عن ذهاب اصواتهم إلى مرشحين خاسرين.

وغالبا ما يستخدم التصويت المجدي في الصراعات الانتخابية بين الأحزاب اليمينية واليسارية، إذ يدافع كل من الاتجاهين الناخبين للتصويت إلى أبرز مرشحين بدلاً عن المقاطعة أو التصويت لمرشح غير مجدي، وهذا ما حدث في فرنسا خلال الانتخابات الرئاسية 2022 حين حاول حزب «فرنسا الأبية» إقناع الناخبين وخصوصاً المترددين بالتصويت للمرشح الذي يتصدر استطلاعات الرأي وهو جان لوك ميلنشون الذي تصدر النتائج بنحو 17%، وحاول ميلنشون استخدام تسمية جديدة للتصويت المجدي من أجل جعله أكثر مقبولة، وكان يسميه «التصويت الفعال». لكن التصويت المجدي بنظر أحد المرشحين لا يكون كذلك بعيون مرشحين آخرين، إذ هاجمت المرشحة للانتخابات ذاتها مارين لوبان دعوات التصويت الفعال من قبل ميلنشون الذي قالت إنه يدعم نظريات عرقية، داعية إلى أن يكون التصويت مفيداً وينبع عن وعي، رافعة شعار «لا امتناع، لا تشتت، لكن تصويت مجد، مجد جداً»².

كما تشهد الانتخابات في تونس دعوات صريحة للتصويت المجدي أو المفيد عن طريق دعوات ترفعها الأحزاب لتوجيه الناخبين نحو مرشحين محددین دون غيرهم كون فرص المرشحين في الفوز ضعيفة حتى لو حصلوا على أصوات المقاطعين والمترددين.

2. الانتخابات الرئاسية الفرنسية: حين يغدو «التصويت المجدي» الرهان الأساسي لبلوغ الدور الثاني، موقع فرانس 24، نيسان/ابريل 2022، على الرابط: <https://www.france24.com>

ولا تقتصر الدعوة للتصويت المفيد على حملات المرشحين الطامحين بالفوز، بل أنه أيضاً يستخدم كرد فعل على اخفاق بعض المسؤولين والنواب السابقين كنوع من أنواع التصويت العقابي، أي أن التصويت المفيد يكون احياناً انتقامياً في تونس، والفائدة المتحققة هي حرمان مرشح أو مجموعة مرشحين من فوز لا يستحقونه.

الانتخابات اللبنانية لم تكن بعيدة هي الأخرى عن التصويت المفيد متأثرة بالانتخابات الفرنسية على الرغم من اختلاف النظام الانتخابي اللبناني عن الفرنسي.

وبدأ مصطلح التصويت المجدي بالانتشار في لبنان مع وجود قوائم تمثل المكونات ومرشحين يجري الاعتماد عليهم من قبل هذه القوائم التي توجه جماهيرها لانتخابهم لضمان عدم تشتت الاصوات، وبالاعتماد على التصويت المجدي فإن القوائم الانتخابية اللبنانية تزج شخصيات تتمتع بالمقبولية داخل مكوناتها ثم تدعو لانتخابها كخيار وحيد لضمان عدم وجود أكثر من مرشح يفشلون جميعاً في الوصول إلى السلطة التشريعية.

ثالثاً: التصويت المجدي في العراق

لم تشهد العمليات الانتخابية المتكررة في العراق وجود إشارة مباشرة إلى اتباع التصويت المجدي أو التصويت المفيد في الانتخابات، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود هذا النوع من التصويت الذي ترك أثراً واضحاً في العملية الانتخابية ونتائجها.

ومع بداية التجربة الانتخابية في العراق عام 2005 كان هناك تصويت مفيد وجه الناخبين باتجاه منح اصواتهم إلى قوائم انتخابية تمثل طوائفهم وقومياتهم ومكوناتهم حتى أن التصويت كان في تلك الفترة مغلق لصالح تحالفات واحزاب محددة تمكنت من توجيه الاصوات لصالحها.

وفي التجارب اللاحقة وتحديداً منذ عام 2010 انتقل التصويت المفيد من الأحزاب التقليدية إلى شخصيات محددة داخل الأحزاب ذاتها، حتى حصل بعض المرشحين على عشرات وفي بعض الاحيان مئات الآلاف من الاصوات نتيجة لاعتقاد الناخبين بأن التصويت لهم سيكون مجدياً كونهم مؤثرين في احزابهم وكذلك في العملية السياسية، خصوصاً أن بعض قيادات الأحزاب سبق أن تولوا مناصب مهمة أو أن لهم علاقات سياسية واجتماعية واسعة.

وفي انتخابات مجلس النواب 2010 حصل ثلاثة مرشحين على أكثر من مليون صوت وهم رئيس ائتلاف دولة القانون نوري المالكي ورئيس ائتلاف العراقية إياد علاوي والمرشح عن ائتلاف العراقية اسامة النجيفي في دليل واضح على أن التأثير بالتصويت المفيد موجود في العراق حتى وأن كان غير معلن. وتكرر ذلك في التجارب اللاحقة التي شهدت تقدم بعض المرشحين بفارق كبير عن أقرب المنافسين، وساعدت آلية سانت ليغو التي اتبعت في انتخابات 2014 و2018 على تعزيز هذه الفجوة.

رابعاً: المرشحون الجدد في مواجهة التصويت المجدي

ارتبط مفهوم التصويت المجدي بوجود مرشحين معروفين سبق أن فازوا في الانتخابات أو حصلوا على مكاسب سياسية كبيرة تسببت بتحولهم إلى شخصيات عالقة في أذهان الناخبين. الذين يرون أنهم الأكثر جدارة بالحصول على أصواتهم، كما يُعتقد بعض الناخبين أن منح الأصوات إلى غيرهم يمثل خسارة، لأن الآخرين ليس لديهم فرص للفوز.

وفي ظل وجود مرشحين جدد لم يشاركوا في أي عملية انتخابية من قبل، فإن فرصهم ستكون أقل من الآخرين الذين تمرسوا اساليب إقناع الناخبين وتوجيههم نحو التصويت لحزب أو مرشح محدد.

ونتيجة لذلك فإن خيارات المرشحين الجدد لمواجهة عقبة التصويت المجدي تكون ثلاثة وهي:

الخيار الأول: الدخول بمواجهة انتخابية مباشرة مع كبار المرشحين مستفيدين من كونهم مرشحين جدد لا يمكن لأحد تحميلهم مسؤولية اخفاقات المرحلة الماضية، وعلى الرغم من صعوبة هذا الخيار بسبب عدم تكافؤ ادوات المرشحين. إلا أنه لن يكون مستحيلاً في ظل وجود مرشحين جدد دخلوا الانتخابات ضمن قوائم انتخابية كبيرة، مما قد يمنحهم فرصة مهمة لتجاوز معادلة سانت ليغو المعقدة.

الخيار الثاني: التراجع أمام قوة مرشحي الأحزاب والقوى التقليدية في حال اقتناعهم بأن فرص الفوز غير متوفرة. وهذا الخيار، في حال تحقق، فإنه سيكون سيف ذو حدين، إذ يمكن أن يوفر المبالغ المالية التي قد تنفق في الدعاية الانتخابية دون فائدة تذكر. لكنه في الوقت ذاته، قد يجرّد

المرشح الجديد من جماهيره التي دعمت خطابه الجديد ورؤيته المختلفة للتغيير.

الخيار الثالث: المناورة في ساحات انتخابية غير خاضعة لنفوذ مرشحي التصويت المجدي. الذين يمكن أن يكونوا مؤثرين في منطقة محددة ولكن تأثيرهم لن يشمل المحافظة أو الدائرة الانتخابية بأكملها. أي أن المرشح الجديد يمكن أن يجري مسحاً أو استطلاعاً للرأي داخل دائرته الانتخابية لتحديد المناطق التي يؤثر فيها التصويت المجدي، ليتعد عنها كون الناخبين فيها ابتعدوا عن المنطقة الرمادية باتجاه مرشحين محددين، وفي الوقت ذاته يمكن للمرشح أو المرشحين الجدد التركيز على المناطق التي لا تزال تضم عدداً كبيراً من الناخبين المترددين، في التصويت وإقناعهم بأن منح أصواتهم للمرشحين الجدد سيكون تصويتاً مجدياً وليس العكس.

خاتمة

بالنتيجة فإن الانتخابات لا علاقة لها بالتمني لأنها تعطي من يجيد التعامل معها سواء كان عن طريق البرامج أو الدعاية أو العبارات الجاذبة التي يستخدمها المرشحون. وهذا ما قد يرجح الخيار الثالث الذي يمنح المرشحين الجدد مساحات انتخابية مستقلة تناسب مع برامجهم وطبيعتهم. التي مهما كانت مؤثرة، فإنها لا يمكن أن تزيح تأثير المرشحين في الأحزاب التقليدية الذين يمتلكون خبرة في الانتخابات وأتقنوا أساليب حصد ثمارها. وبالتالي فإن المناورة الانتخابية يمكن أن تمثل وسيلة لتجنب المرشحين الجدد منافسة انتخابية مباشرة مع المرشحين الاقوياء، وتمنحهم في الوقت ذاته فرصاً لتحقيق مكاسب في ساحات أخرى في حال نجحوا في التعامل مع ناخبينها.